

491- "غزة"، وقود لتشكيل "المخ العالمي الجديد!"

تعتة

حمدت الله أنه لأسباب ما، تأجل نشر تعتة "الدستور" التي كتبتها قبل أحداث مجزرة غزة وما تلاها، كانت تطويراً لفكرة طرأت لي حول ما أسميته "المخ العالمي الجديد" تصورت من خلالها أن شبكة الإنترنت العالمية، وهي تحاول أن تستقل عن سلطات المال والاستغلال والاستهلاك المركزية، هي بمثابة مخ عالمي جديد يتشكل ويترجم بما يناسب مرحلة الإنسان المعاصر، حمدت الله أن هذه التعتة تأجل نشرها فقد بدا لي أنه من غير اللائق أن يكتب أي كاتب بعيداً عن هذه البشاعة التي تجرى.

طيب ماذا أكتب، ولماذا أكتب؟ ولن أكتب؟ ثم ماذا؟ لقد كتبوا كل شيء في كل اتجاه، بكل أسلوب، كتبوا غاضبين محرضين مهيجين ساخطين، كما كتبوا مررين، مؤجلين، متعقلين، متفرجين، جبناءً. تحول مؤشر الغضب بعيداً عن إسرائيل وكشف دور أمريكا والمال، إلى اتهام إيران والفرس والشهداء!!، وأعلى الجانب الآخر: سباب مصر وتحوينها، واستمر التراشق بين الفريقين "باللفاظ"، حتى كادت تتوارى أشلاء الضحايا الشهداء وأنهار الدم الطاهر بين ثنايا الكلمات، فماذا أكتب، ولماذا؟ أليس الأولى أن يتواصل جهد كل الناس كل الوقت للسعي لاستعادة عقل البشرية معاً في تشكيل شبكى جديد يمثل أنواعاً أرقى من التواصل البشري تصح خلل التعصب، وجلطات الحروب، ونزيف استغلال البشر للبشر؟

الذي يجري عبر العالم الآن تواملاً إلكترونياً، يعلن كيف أن الناس قد امتلكوا أداة تبدو قادرة على مواجهة الحكومات الخائبة والأموال القاتلة، كاد الإعلام التقني الشعبي التواصل التلقائي الأحدث أن يؤكد لامركزيته وقدراته، تتضاءل سطوة الدولة والشركات على وعى الناس باضطراد حتى يبدو أن ثم تحولاً نوعياً يحدث للبشر.

خطر لي أن الذي يجري في غزة، والعراق، وأفغانستان، وكل العالم المظلوم، والمستغل، هو خلل جسيم في تآلف المخ العالمي الخالي، وأنه لم يعد من الممكن أن ينصلح هذا الخلل بمجرد رأب سدع القهر بأنواعه، أو وقف نزيف حروب الإبادة، تصورت أن

الجارى ليس مجرد احتلال لأرض الغير، أو قتل للأبرياء، بقدر ما هو تهديد لمسار البشرية جمعاء، وما لم يتكاتف كل البشر لصدّه، فنحن نهدر دم الشهداء الأطهر، في طريقها إلى الانقراض.

تصادف حدوث عطل كابلات الإنترنت منذ أسبوعين وأنا أعيش محاولات مخ أخی الأكبر لإعادة التريبط لتجاوز آثار جلطة مفترسة، كانت نيورونات مخه تحاول الالتفاف حول التلف بكل قوة الحياة، تجلى ذلك أكثر بعد أن غادر المستشفى إلى بيته حيث كان يفيق لحظات، ليغيب من جديد، كنت أقرأ في عينيه جهود إعادة برمجة مخه، كنت أقرأ فيهما ألمه، ومحاولاته للتعرف على وجهى حين أقرب منه، كانت عيناه ترقان بالرضا وأنا أمسك على رأسه، وحين أنحنى لأقبل يده السليمة كان يسحبها منى كما كان يفعل في صحته. ذات صباح، فتحت لى ابنته مهللة: "بابا قاللى ازيك يا عزة!"، أخذت أتعجب من قدرة المخ البشرى أن يقبل التحدى هكذا، ولم ينطق بعدها إلا بضع كلمات منها ما قاله لى "أيمن" ابنه فى المعزى يطمئننى على جمال نهايته، أنه حين سأله "إزيك يا بابا" أجاب "زى الفل"، ثم رحل راضيا مرضيا.

بالقياس: بدا لى أن شبكة الانترنت أصبحت هى المخ الأحدث للعالم البشرى، وأن أفراد البشر عبر العالم أصبحوا نيورونات هذا المخ الذى يعاد تشكيله فى مرحلة برمجة جديدة، استعدادا للنقلة القادمة فى تطور البشرية، تصورت أن عطب الكابلات الستة كان بمثابة جلطة إلكترونية، وأن إعادة التريبط - مثلا عبر تونس- من خلال الشبكة العربية للعلوم النفسية بفضل الإبن الصديق د.جمال التركى، هى التى سحت بتواصل صدور "نشرة" الإنسان والتطور- التى أكتبها يوميا- كما كانت تصدر قبل العطب الكابلاتى على "موقعى الخاص"، كانت المقابلة بين ما يحاوله مخ أخی، وما يجرى لمحاولة تجاوز العطب الإلكتروني الكابلاتى شديدة الوضوح.

مع امتداد القياس خيل إلى أن كل فرد عبر العالم قد أصبح خلية إنسانية مفردة فى المخ البشرى العلمى الجديد؟، وأن البشر "معا" على وشك أن يتجاوزوا - الجلطات- والأنزفة التى سببتها القوى التدهورية المفترسة. هل نحن، "الناس الخلابا"، قادرون على تجاوز هذا التخثر الإنقراضى الناتج عن انسداد قنوات تواصلنا بجلطات أكوام النقود المتعفنة المغترية، والأفكار المنغلقة!؟

ثم شاءت إرادة الله أن تفشل محاولات مخ أخی، لكن زاد أملى أن ينجح المخ العلمى الجديد فى ترتيب برامجه الأحدث لتذيب الجلطة الإسرائيلية وما شابهها من كل أنواع نزيف الاستغلال والإبادة عبر العالم.

وإلى أن يحدث ذلك، فليتواصل الاستشهاد لمن يختاره، ولنقدس التضحيات، ولنمدح الثمن طاهرا غاليا، بالحرب، والإبداع، والألم، والصبر، والتواصل للتغيير.